مجلة الآداب واللغات المجلد(08)العدد(02)جوان/جويلية2022، ص. ص22-36

سمات التداولية المدمجة في تفسيرات فاضل صالح السامرائي

The Features integrated pragmatics in the interpretations of Fadel Saleh al-Samarrai

بلال بوزيان **1***

1جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي– *bilelbouziane11@gmail.com*

تاريخ الإرسال:2021/01/28 تاريخ القبول:2022/01/08 تاريخ النشر:2022/07/10

الملخص:

تسعى النظرية التداولية ككل النظريات اللغوية لسبر أغوار الخطاب الأدبي، وهي تأخذ مكانتها المثلى لتقاطعها مع كثير من العلوم فهي تقع في مفترق طرق كثير من المعارف وفي هذا النموذج التداولي الذي اشتغلنا عليه في هذه الدراسة، يبدو أنه قادر على وضع الخطاب موضع مساءلة فعلية ، من شأنها أن تكشف عن مسارات تأويلية جادة . تروم هذه الدراسة من خلال تحليل عمل السامرائي إلى محاولة الكشف عن مواطن تواشج مفاهيم نظرية التداولية المدمجة مع الخطاب القرآني، وإن كنا لا نملك دليلا علميا يبرر استعمال السامرائي للمفاهيم التداولية في أعماله، إلا أننا في عملنا هذا نستأنس بممارسة هذه النظريات على الموروث العربي من طرف كثير من الدارسين العرب، بل وحتى من الدارسين الغرب إذ عرف بيار لارشي ببحوثه في التفكير اللغوي في الحضارة العربية والاسلامية.

الكلمات المفتاحية:

التداولية المدمجة، القرآن الكريم، فاضل صالح السامرائي، البلاغة العربية، السياق.

*المرسل المؤلف.

Abstract:

The pragmatic theory, like all linguistic theories, seeks to explore the depths of literary discourse, and it takes its optimal position for its intersection with many sciences, as it lies at the crossroads of many knowledge and in this pragmatics model that we worked on in this study, it seems that it is able to put the discourse into actual accountability, from That would reveal serious hermeneutic paths. This study seeks, through analyzing the work of al-Samarrai, to try to uncover the points of interconnection of the concepts of pragmatic theory combined with the Qur'anic discourse, although we do not have scientific evidence that justifies the use of pragmatic concepts by al-Samarrai in his work, but in our work we seek to practice these theories on Arab heritage on the part of Many Arab scholars, and even Western scholars, as Pierre Larchi was known for his research on linguistic thinking in Arab and Islamic civilization.

Key words*: Integrated pragmatic, Holy Quran, Fadel Saleh Al-Samarrai, Arabic rhetoric, context.*

المقدمة :

لقيت الظواهر الإنسانية اهتماما كبيرا من طرف الدارسين، وتنوعت طرائق دراسة هذه الظواهر، وأهم ظاهرة إنسانية ظفرت بحصة الأسد هي الظاهرة اللغوية، فاهتمت بها الفلسفة، وعلوم المنطق، وعلوم النفس، وعلوم الاجتماع، والفولولوجيا، إلى أن ظفرت بعلم خاص بها، اتخذ منها موضوعا له، وأرسا قواعده العالم السويسري فردناند ديسوسير، الذي أوضح بدقة موضوع علم اللسانيات " وهو الدراسة العلمية للألسن"[1]

إلا أن سبر أغوار الخطاب الأدبي والنقدي، فرض على النظريات اللغوية نوعا من التوسع، وذلك لما للخطاب الأدبي من مداخل عديدة، وكان ذلك سببا لتنامي النظريات اللغوية، واستباقها لتحليل النص وفهمه وتأويله .

ومن هذه النظريات النظرية التداولية التي تطرح على النصوص الأدبية، وعلى نفسها تساؤلات عديدة، ذلك لأنها علم مترامي الأطراف " تخترق جملة العلوم الإنسانية وهي لا تشير إلى نظرية مخصوصة بقدر ما تشير إلى تقاطع تيارات

مختلفة تشترك في عدد من الأفكار الفاعلة "[2]، إلى حد أصبح من الصعب تحديد انتمائها ومتجاوراتها، وإن كان الخطاب اللساني العربي يسير سيرا محتشما، فإن نظيره الغربي خطا خطوات سريعة، وكثرت في أدبياتهم اللسانية رؤى كثيرة فرضتها طبيعة اللغة واستعمالها.

يبدو هذا التسارع المعرفي الغربي جلي وواضح حين نتتبع تطور الدرس التداولي عندهم، بدأ من شارل موريس الذي يرى أن التداولية " مكونا للغة بجانب المكون الدلالي والمكون التركيبي"[3]، ثم أصحاب الفلسفة التحليلية متمثلة في كل من اوستين وسيرل وصولا عند أصحاب التداولية المدمجة وعلى رأسهم أزوالد دكرو، والتداولية العرفانية في نظريات كل من سبربر وولسن [4].

ولأن مساحة هذا البحث لا تسمح بمعالجة موضوع متسع جدا كتناول المعطى التداولي الذي يجمع كل مقولات التداولية التي نلخصها في الخطاطة . التي تعكس رؤية فرانسواز أرمنيكو لأقسام التداولية.. المبينة في الشكل(1)، هذا من جهة ومن جهة أخرى أعمال السامرائي الكثيرة ، لذا ستقتصر هذه الدراسة على معالجة ما جاء به السامرائي في كتابه بلاغة الكلمة في التعبير القرآني معالجة في ضوء مقولات التداولية المدمجة .

ونتغيّ من هذه الدراسة الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي مظاهر التداولية المدمجة في تفسيرات السامرائي؟ وكيف استثمرت مقولات التداولية من لدن السامرائي في رسم مسار تأويلي وتفسيري لنصوص القرآن ؟

تهدف هذه الدراسة من خلال تحليل عمل المؤلف إلى محاولة الكشف عن مواطن تواشج مفاهيم نظرية التداولية المدمجة مع الخطاب القرآني، وإن كنا لا نملك دليلا علميا يبرر استعمال السامرائي للمفاهيم التداولية في أعماله، إلا أننا في عملنا هذا نستأنس بممارسة هذه النظريات على الموروث العربي من طرف كثير من الدارسين العرب، بل وحتى من الدارسين الغرب إذ عرف بيار لارشي ببحوثه في التفكير اللغوي في الحضارة العربية والاسلامية، وكتب مقالا وسمه بـ : تداولية قبل التداولية هي تداولية قروسطية عربية اسلامية [5].

تعريف التداولية :

تتأسس رؤية المعاجم العربية للتداولية انطلاقا من سرد المعاني الخاصة بالجذر (دول) جاء في كتاب العين: دول؛ الدُّولة، الدَّولة لغتان ومنه الإدالة؛ قال الحجاج :" إن الأرض ستدال منّا كما أدلنا منها؛ أي نكون في باطنها كما كنا على ظهرها" [6]. أما لسان العرب فقد سرد معاني عديدة تصب في مجملها في تداول الشيء مرة لهذا ومرة لهذا، وهو الانتقال من حال إلى حال، والحديث لم تتداوله الرجال؛ أي لم تتناقله وترويه ، وهي بمعنى الغلبة أيضا. [7]

وبخصوص المعاجم المختصة فقد حملت العديد من التعريفات، فعرفها معجم المصطلحات الأدبية على أنها: حركة فلسفية سوقية تؤكد النتائج العملية وتشدد على المنفعة والنزعة العملية[8]، فهي هنا تعني النفعية. أما المعجم الفلسفي فقد أرجع استعمال مصطلح التداولية الى الفيلسوف شارلز ساندارس بيرس الذي أراد به أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا مجرد التأمل النظري ... والبرغماتية بوجه عام وصف لكل ما يهدف الى النجاح أو الى منفعة خاصة[9]، ويشير معجم اللسانيات لجون دي بوا إلى أن مصطلح التداولية يحمل مجموعة من المفاهيم، وهو في الأصل يعني خصائص استعمال اللغة هذه الخصائص متعلقة بنفسية المرسل وتفاعل المتلقي ونوع الخطاب وموضوعه، ابتداء من النحو والسيمياء وتعني أيضا دراسة أفعال اللغة [10].

تصور فرانسواز أرمينيكو لأقسام التداولية

ترى أرمينيكو في كتابها المقاربة التداولية بأن التداولية تداوليتان أحدهما تداولية تلفظ والأخرى تداولية اللغات الشكلية واللغات الطبيعية والخطاطة التالية تبين رأي أرمينيكو في هذه المسألة[11]:

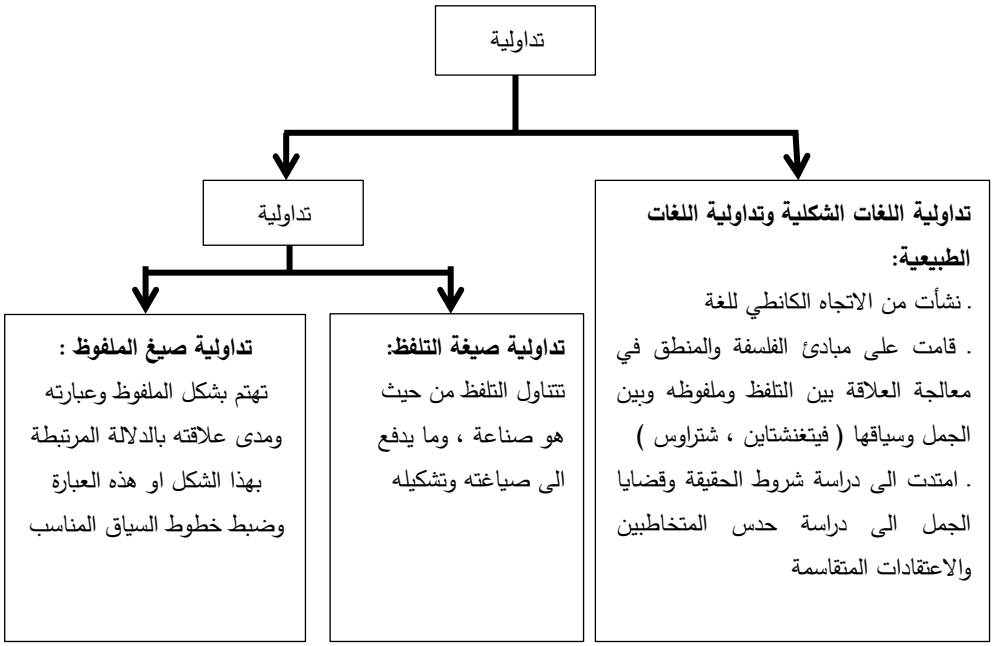

حسب هذا التقسيم فإن هذه الدراسة تشتغل في القسم الثاني (تداولية التلفظ) في شقه الثاني تداولية صيغ الملفوظ، لأن هذا الفرع هو الذي يخول لنا في مساحته أن ندمج بين الاعتبارات خارج اللغوية (البعد التداولي) مع اعتبارات النظام اللغوي، وهذا أحد مساعي التداولية المدمجة، التي تعتبرها النظرة اللسانية قسما من الاقسام الثلاث للتداولية والتي نوضحها في الشكل التالي[12] :

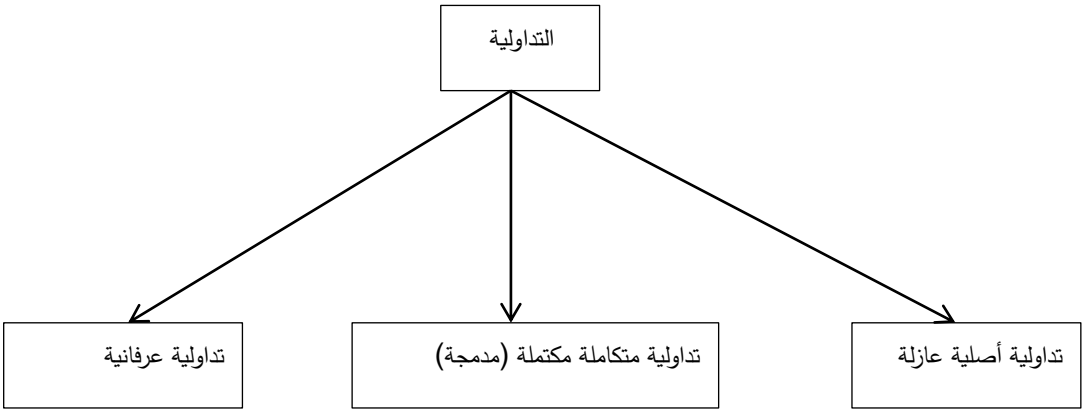

التداولية المدمجة :

يقول آلان بروندونير: لقد تبينا ذات يوم أنه يجب إنشاء تداولية مدمجة ولكننا أهملنا التساؤل مدمجة في أي شيء ؟[13].

إن مثل هذا التساؤل مهم جدا لأن معرفة العناصر التي نسعى الى دمجها يسهل هذه العملية، ويمكن من معرفة الآليات التي تتم بها، لقد كان ميلاد هذا المصطلح (التداولية المدمجة) في اطار التحاليل التداولية حول أعمال اسكمبر وديكرو وتهدف أعمالهما للدفاع عن أطروحتين هما[14]:

1. الدفاع عن تصور لا وصفي للغة؛ مفاده أن الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون بل تبلغ أعمال لغوية .

2. اطروحة الإحالة العكسية للمعنى؛ معنى قول ما هو صورة لعملية القائه أي ان تأويل صيغة قول ما هو فهم دواعي القائه.

مميزات التداولية المدمجة :

يطرح القاموس الموسوعي للتداولية مجموعة من الأطروحات التي تميز التداولية المدمجة نلخصها في الآتي: [15]

1. النظام اللغوي وضع لهدف التواصل ومعنى القول مرتبط بعملية قوله .

2. يحوي اللسان اضافة الى الامكانات النحوية شروط لغوية تقيد تسلسل الأقوال وتعاقبها .
3. دراسة معنى قول يشتمل على جانبين هما دلالة الجملة (مجال لغوي) ومعنى القول (مجال بلاغي تداولي)
4. العلاقة بين الأقوال علاقة حجاجية لا استنتاجية
5. يندرج منوال التداولية المدمجة ضمن ابستيمولوجيا المحاكاة .

بعد هذه النظرة الموجزة عن التداولية والتداولية المدمجة، نحاول أن نسلط ضوء هذه النظرية على ما جاء في كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السمرائي وهو كتاب من الحجم المتوسط احتوى على مئة واثنين وخمسون صفحة قسمه صاحبه سبعة أقسام، يبدو لأول وهلة أنه كتاب نحوي إلا أنه احتوى على تخريجات تجاوزت الجانب النحوي كما سنبين من خلال هذه المقاربة .

في قسم الذكر والحذف أورد السامرائي مجموعة من الأمثلة القرآنية اختلفت صيغة التعبير فيها ويؤكد السامرائي أن هذا الحذف والذكر يستدعيه الغرض، فهو يقرن هذه المفردات بسياقاتها بدقة، وهذه المسألة هي التي كانت وراء تطور التداولية المدمجة وهو مسألة الاقتضاء؛ أي المضمون الذي تبلغة الجملة بكيفية غير صريحة [16] يقول السامرائي متحدثا عن القرآن : " إنه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لا يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل، فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل بل ذكره بأوفى صورة "[17]

فالسامرائي يدمج الصيغة النحوية مع مقتضيات السياق ليتمكن من استدعاء الدلالات التي يحملها الخطاب ، ويعلل من خلال السياق صفة ورود الألفاظ داخل النسق اللغوي ففي قوله تعالى " **فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا:** الكهف 97، اقتضى السياق المعرفي أن عملية الصعود على هذا السد المصنوع من النحاس أقل جهدا من عملية النقب التي فيها عناء وشقاء تطلبت أن ينقص حرف التاء من بنية الفعل الأول واثباتها في الفعل الثاني ، ثم يضيف بأن زمن الظهور

على السد يكون أقصر من زمن النقب ثم الظهور ، يتضح من هذا التخريج أن السامرائي ينطلق من فكرة أن فهم هذه الصيغة متعلق بفهم دواعي القائها ، وهته أحد أطروحات التداولية المدمجة .

وفي الآيات الكريمات التالية :

" "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ"" القدر، الآية 4

"هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" الشعراء 221 _ 223

"إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ" فصلت، الآية 30

لا يمكن بحال من الاحوال أن يكفي المعطى اللساني فقط لتبرير ورود فعل (نزل) مرة بصيغة (تتنزل) وأخرى بصيغة (تنزل) ما لم ندمج هذا القول في مختلف سياقاته وظروف انتاجه المادية والمعنوية، يبرر السامرائي ورود الصيغتان واختلافهما من خلال المعرفة المسبقة ببعض الظواهر المتكررة، فنزول الملائكة في آية فصلت يكون على الموتى لتبشيرهم بالجنة والموت على مدار السنة وفي كل لحظة، فالصيغة اللفظية وافقت صفة هذا النزول ، أما في آية الشعراء فيركز السامرائي في تخريجه على كامل الصيغة النحوية ودلالات الألفاظ فيها فيقول : " إن الشياطين لا تتنزل على كل الكفرة ، وإنما على الكهنة ، أو على قسم منهم "[18] لذا أتى بالفعل على صيغة (تنزل) ، وفي آية القدر مثلها لان نزولهم في ليلة واحدة من السنة ، فهذه المدركات المسبقة وعناصر الدلالة تتساوق جنبا إلى جنب مع الصيغة اللغوية فهي تعبر عن المعنى بدقة متناهية .

وفي الآيات الكريمات التالية:

" يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا

وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"" آل عمران ، الآية: 102 -105 .

" شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (13) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (14)" الشورى الآيتان: 13-14 .

يورد السامرائي في تخريجه لسبب استعمال الفعل في صيغته التامة (تتفرقوا) مرة ، وفي صيغة (تفرقوا) مرة أخرى، عدة أسباب نحاول ذكر نموذج منها مع الكشف عن مواطن الدمج بين صيغة القول ومقتضاه

1. آية أل عمران خطاب للأمة الاسلامية ، وآية الشورى خطاب في أمم مختلفة وشرائع متعددة ، أنقص من الفعل عندما تكلم على أمة واحدة واتى به تاما عندما تكلم على أمم مختلفة ، نجد في هذا التخريج أن السامرائي يستخلص دلالة اللفظة من خلال وضعها في سياق السورة ككل فبالإضافة الى كونه كشف الغطاء عن المعنى هو أيضا يثبت بأن هذا الخطاب منسجم ومتسق .

أما في قسم الابدال فيقول السامرائي :" إننا نرى أن كل تغيير في التعبير القرآني مهما كان فله سببه ولا يكون تغيير من دون سبب "[19]، فالأسباب التي يتحدث عنها السامرائي ليست أسباب لغوية فقط وإن كانت الصيغة اللغوية تدل عليها من خلال ما تثيره من تساؤلات ، وسنحاول أخذ نموذجين من هذا القسم كما فعلنا في الذي سبقه ، لكي نستطيع أن نتطرق لكل النماذج اللغوية المطروحة في هذه المدونة داخل هذه المساحة الضيقة التي يفرضها المقال .

"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) آل عمران، الآية: 96، 97 .

" وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا" الفتح 24

يدمج السامرائي في هذا النموذج بين الدلالة المعجمية لكلمة (بكة) السياق الذي وردت فيه اذ وردت في سياق الحديث عن الحج و(البك) يعني الزحام والتدافع وفي آية الفتح ليس السياق كذلك فجاء بالاسم المعروف وهو (مكة) ، عملية الالصاق هذه تعطي للخطاب سمة الدقة في الاتساق والانسجام معا .

وفي قوله:" مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4)الأحزاب 4

"اللَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2)" المجادلة 2

" وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)" الطلاق 4

"وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15)" النساء15

" وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" يوسف 50

في آية الظهار والطلاق استعمل اللائي بالهمزة لثقلها وهي تتماشى مع ثقل المفارقة الحاصلة بين الزوجين في هذا التخريج يدمج السامرائي بين البنية الصوتية للكلمة وبين السياق التي جاءت فيه

" ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا " مريم 69 . " وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا "" الفرقان 21 .

يقول السامرائي في هذا الشأن :" ومن النصين القرآنيين نلاحظ أن اتصاف المذكورين بالعتو في الفرقان أشد مما في مريم فاختار لهم اللفظ الأقرب والأقوى "[20] إن الحديث عن الحروف هو حديث يندرج ضمن الخصائص الصوتية ، إلا أن هذه

الخصائص تبقى في اطارها الوصفي البنيوي الذي لا يحيل على شيء إلا إذا الصق بدلالته في السياق

ومن النماذج الأخرى الواردة في الكتاب هو ورود صيغة المبني للمجهول والمبني للمعلوم في مواضع يظهر للوهلة الأولى أنها متشابهة

ففي قوله " لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (47)" الصافات 47 .

وقوله " لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ " لواقعة 19 .

يسرد السامرائي مبررات عديدة لهذا الاختلاف أقرن كثيرا منها بالسياق التي تتحدث عنه الآيات الكريمات " وأن كل مفردة إنما وضعت في مكانها المناسب من أكثر من وجه ذلك أن سياق الآيات في سورة الواقعة إنما هو في السابقين المقربين وهم أعلى الخلق من المكلفين ... وسياق الآيات في سورة الصافات إنما هو في المؤمنين المخلصين ... والسابقون أعلى من هؤلاء فإنهم أعلى الخلق من المكلفين " [21]

في قسم أخر من أقسام المدونة عنونه المؤلف بتعاور المفردات ذكر فيه أنه " قد تتعاور المفردات في التعبير القرآني ، فتستعمل مفردة في موطن وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به ، بل في القصة الواحدة قد نستعمل مفردة في موضع ونستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة واحدة وذلك نحو

قوله تعالى :

" وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " البقرة 60

وقوله في سورة الأعراف ً

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" الأعراف 160

والانفجار بالماء أغزر من الانبجاس فخالف بين المفردتين مع أن القصة واحدة ...[والحقيقة] أن كلا الأمرين حصل فقد انفجرت أولا بالماء الكثير ... ثم قل بمعاصيهم فأخذ ينبجس ، فذكر حالة الانفجار في موطن وحالة الإنبجاس في موطن آخر فالأمران واقعان وكلاهما حقيقة غير أنه ذكر حالة كل منهما تبعا لما يقتضيه السياق، ولو غاير بينهما فاستعمل الانفجار مكان الانبجاس لكان خلاف الأولى وخلاف ما يقتضيه السياق والمقام " [22]

في هذا النموذج أيضا يبرز السامرائي تعاور هذه المفردات بإقرانها والسياق الذي وردت فيه ، فالنموذج الذي يقدمه المؤلف يمثل فعلا ممارسة لدراسة اللغة أثناء الاستعمال فهو يقدم حيثيات المقام الذي ترد فيه هذه الكلمات ليحملها دلالات تتماشى فعلا مع ما وضعت له ، وكما قلنا في أول المداخلة أننا لا نملك دليلا علميا حقيقي يؤكد اعتماد السامرائي على التداولية في أعماله ، الا اننا ما نجده في ممارساته يتوافق مع ما جاءت به التداولية ، يجعلنا نقوم بدراسات مثل هذه على أعماله .

الخاتمة:

بعد تطرقنا الى هذه النماذج التي حاولنا أن نتتبع فيها طريقة التعليل والتخريج الذي استعمله السامرائي على ضوء ما تنص عليه مقولات التداولية المدمجة تبين لنا في كثير من المواضع أن هذا العمل يوافق فعلا آلية الدمج التي تقدمها النظرية اللغوية لتتواشج مع الخطاب وتقدم له تحليلا مقنعا .

نلاحظ من هذا أن النظريات اللغوية سواء البنيوية منها أو ما بعد البنيوية قد استفادت من بعضها البعض، فالسامرائي حين يدرس المفردة ينظر اليها من المستويات التي تتيح الوصف وهي المستوى الصرفي والصوتي والمعجمي والتركيبي، ومن ثم يضع هذه المفردات موضع سياقها ويحملها الدلالات على ضوء ذلك .

إن ما نلحظه على المدونة أن المؤلف لم يستعمل مصطلحات من قبيل النص القرآني، الخطاب القرآني، المرسل، المستقبل، الرسالة، بل اكتفى بتكرير مصطلح التعبير القرآني، وإن أوحى لنا هذا بشيء، فهو يوحي بأن المؤلف لا يستعمل مصطلحات العلوم الحديثة اللغوية منها والنقدية .

عنوان المدونة التي اشتغلنا عليها وبقيت الكتب التي ألفها السامرائي مثل التعبير القرآني ولمسات بيانية فضلا عن طريقته في التحليل والتأويل توحي بأن منهجه جرجاني، وهذا لا يعني أننا نقابل نظرية النظم إلى نظرية التداولية، بقدر ما هو لفت نظر الى موروثنا البلاغي والنقدي، في محاولة لإعادة استنطاقه وتفجير مكنوناته، بما تتيحه المناهج البحثية الحديثة.

الإحالات:

1: اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر والأصول ، مصطفى غلفان ، دار الكتاب الجديد ،بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2017 ، ص77 .

2: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ، دومنيك مانغنو ، ت عبد القادر المهري ، حمادي صمود ، دار سيناترا ، ص 442

3: نفس المرجع ،ص 442

4: أنظر معجم تحليل الخطاب ، باتريك شارودو ، دومنيك مانغنو ص 443 ، وأيضا : اتجاهات البحث اللساني ، ميلكا افيتش ، ت سعد عبد العزيز مصلوح ، وفاء كامل ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 2 ، 2000 ، ص 352 .

5: أنظر ، إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين ، عز الدين المجدوب ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، ج 1 ، ط 2012 ، ص 499 .

6 : كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهدي ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ج2 ، ص 60 .

7: أنظر ، لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج 11 ، ص 252

8: معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي ، التعاضدية العملية للطباعة والنشر ، صفاقس ، تونس ، ط 1986 ، ص 68 .

9: أنظر المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، مصر ، 1983 ، ص 32 .

10 :*Regardé : dictionnaire de linguistique ,jean doubois, larousse , paris,éd 1, 1994, p375* .

11: أنظر : في اللسانيات التداولية ، خليفة البوجادي ، بيت الحكمة ، العلمة ، سطيف ، ط 1 ، 2009 ، ص ص 77،78 .

12: أنظر : المرجع نفسه ، ص 81 .

13: التداولية والحجاج ، صابر الحباشة ، صفحات للدراسة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ،2008 ، ص 32 .

14: أنظر : القاموس الموسوعي للتداولية ،جاك موشلر و آن ريبول ، ت مجموعة من الاساتذة ، دار سيناترا ، تونس ، دط ، ص 35

15:أنظر مرجع نفسه ، ص ص 84 85 .

16: أنظر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول و جاك موشلار ، ت سيف الدين دغفوس ، المنظمة العربية للترجمة ،دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص 47 .

17: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ط5 ، 2009، ص 13 .

18: المرجع نفسه ، ص 15.

19: المرجع نفسه ، ص 43 .

20: المرجع نفسه ، ص 64

21:المرجع نفسه ، ص 74

22: المرجع نفسه ، ص ص 127 ، 128